



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

شخصية الطارقيّ بين الشرق والغرب دراسة سيميائية للشخصية من منظور مقارني (رواية طوارق ونزيف الحجر أنموذجاً)

عهود منصور علي حجازي

جامعة الملك عبد العزيز بجدة

oalihijazi@stu.kau.edu.sa

966506519512+

ملخص

تسلط هذه الدراسة الضوء على سيميائية شخصية الطارقيّ، لعمل دراسة مقارنة بين دلالات هذه الشخصية في ذهن العربي ابن البيئة نفسها، وبين الغربي الذي يكوّن تصوراً عنها بناء على الملاحظة والمعاشية. إذ ينصبّ اهتمام الأدب المقارن على دراسة العلاقات الثنائية القائمة بين أدبين، كما يركز على مشكلة العلاقات، ويترك فسحة لقيام مشترك إنساني في حال انتفاء التأثير والتأثير.

الكلمات المفتاحية: أدب مقارن، سيميائية، طوارق، شخصية، ثنائيات، تأثير وتأثير

The Character of Al-Tariqi Between East and West: A Semiotic Study of Personality from A Comparative Perspective (The Novel of Touareg and The Bleeding of the Stone as A Model)

Abstract

This study sheds light on the semiotics of Al-Tariqi's personality, to conduct a comparative study between the connotations of this character in the mind of the Arab, the son of the environment itself, and the Westerner, who forms a perception of it based on observation and coexistence. Comparative literature focuses on the study of the bilateral relations that exist between two literatures, as well as on the problem of relations, leaving space for a common human existence in the absence of influence and effect.

Keywords: *Comparative literature, semiotics, Touaregs, personality, dualities, influence*

المقدمة

تعدّ الصحراء مسرحاً افتراضياً للشخصيات الصحراوية التي تلعب أدواراً ملفتة للانتباه، سيما ما يخص عاداتها العريقة، وخلوصها من العولمة، وارتكائها على القيم التي تورثها لأبنائها جيلاً بعد جيل. من هذه المجتمعات الصحراوية تبرز قبائل (الطوارق)، سكان الصحراء الكبرى، وأبناء البيئة التي لم تتأثر بالحياة المدنية. من هذا المنطلق، منطلق خصوصية مجتمع الطوارق، إضافة إلى رفضهم للتبعية، وحفاظهم على عقيدتهم وأخلاقهم؛ وقع اختيار الدراسة على سيميائية شخصية الطارقي، لعمل دراسة مقارنة بين دلالات هذه الشخصية في ذهن العربي ابن البيئة نفسها، وبين الغربي الذي كوّن تصوراً عنها بناء على الملاحظة والمعاشية. إذ ينصبّ اهتمام الأدب المقارن على دراسة العلاقات الثنائية القائمة بين أدبين، كما يركز على مشكلة العلاقات (طحان، 1972، ص 129)، ويترك فسحة لقيام مشترك إنساني في حال انتفاء التأثير والتأثير.

ويطلق أهل الصحراء على أنفسهم (طوارق) لأنهم طرّفوا الصحراء، وقيل نسبة إلى طارق بن زياد، وقيل أيضاً نسبة إلى الوادي (تاركا) الذي تسكن فيه قبائلهم، كما أرجع البعض تسميتهم إلى معرفتهم بطرق الصحراء ومسالكها (الأنصاري، 2006، ص 29-30). ويذكر بأن الطوارق كانوا يطلقون على أنفسهم ألقاباً، مثل: "عصابة الصحراء"، "أسياد رمال الصحراء"، و"الأماهغ"⁽¹⁾، وكذلك "أبناء الريح" و"شعب اللثام" (فيكيروا، 2004، ص 18). وقد وصفتهم الصحفية الفرنسية مونيكا لاهارم بأنهم "أناس ليس بإمكانهم إسماع صوتهم للآخرين" (الأنصاري، 2006، ص 18). كما أطلق الغربيون على الطوارق عدة تسميات أيضاً، منها: أمراء الرمال، الرجال الزرق، أسود الصحراء، كما يُنعتون بالملتئميين (الأنصاري، 2006، ص 16). وقد اتخذ البحث من الدراسة السيميائية لشخصية الطارقي منهجاً له، وذلك عن طريق المقارنة بين عمليتين أدبيين: أحدهما لإبراهيم الكوني في روايته (نزيف الحجر)، والآخر لألبرتو باتكث - فيكيروا، في رواية (طوارق) عن طريق تحليل شخصية الطارقي التي وردت في الروايتين، من زاوية التوصيف والوظيفة. حيث تتركز الرؤية الغربية على الطارقي انطلاقاً من مغايرته الثقافية، وتمسكه بهويته الفردانية، إضافة إلى الأثر الذي يتلقاه الآخر المختلف عند احتكاكه به من خلال الفضاء الصحراوي الذي يتجسد كأحد أبطال القصة في كل مرة. بينما ينطلق الشرقي من معرفة تامة بالشخصية التي

(1) الأماهغ "جمع، مفردها: إموهاغ، وهو الاسم الذي يطلقه الطوارق على أنفسهم، وتعني النبيل". (فيكيروا، 2004، ص 13).



www.mecej.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

يتحدث عنها، فلا يحتاج فيها إلى كثرة أوصاف، ولا إسهاب في التقديم، ولا انبهار بابين جلده الذي تربي معه. وتعدّ الشخصية عنصراً أساسياً في بناء النص الروائي، فهي التي تتولد منها الأحداث، وتتأثر بها، كما تشكّل بعلاقتها في الزمان والمكان عناصر للإثارة والتشويق (الفواز، 2015، ص23). وسوف يتناول البحث سيميائية الشخصية بناء على مدلول الشخصية، ودأها، من ثم مستويات التحليل⁽¹⁾، وذلك من خلال توزيعها على ستة تقسيمات: الاسم، الصفات/ المظهر الخارجي، الأخلاق/القيم، العلاقة بالمكان، أفعال الشخصية/ الأحداث، والعلاقة بالعالم الحديث. من ثم يخلص البحث إلى المتشابهات والفروق، ثم السمات، وينتهي بإيجاد التآثر والتأثير، مع بيان أهم النتائج.

مشكلة الدراسة

تتمحور إشكالية هذه الدراسة في الكشف عن سيميائية الشخصية بناءً على مدلول الشخصية، ودأها، من ثم مستويات التحليل، وذلك من خلال توزيعها على ستة تقسيمات: الاسم، الصفات/ المظهر الخارجي، الأخلاق/القيم، العلاقة بالمكان، أفعال الشخصية/ الأحداث، والعلاقة بالعالم الحديث. من ثم يخلص البحث إلى المتشابهات والفروق، ثم السمات، وينتهي بإيجاد التآثر والتأثير، مع بيان أهم النتائج.

أسئلة الدراسة

- ما هو مدلول شخصية الطارقي في التصور العربي والتصور الغربي؟
- ماهي مستويات تحليل الشخصية؟
- ماهي المتشابهات والفروقات في سيميائية شخصية الطارقي بين الشرق والغرب؟

أهداف الدراسة

الوقوف على سيميائية شخصية الطارقي بين الشرق والغرب من خلال البحث عن مدلولها، وعرضها على مستويات التحليل، ثم إيجاد التشابه والاختلاف والسمات المشتركة.

(1) وذلك استناداً إلى ما افترضه "فيليب هامون" من تحديد المحاور التي تقوم عليها دراسة الشخصية في النص السردي. (هامون، 2013، ص13).

الفصل الأول: الروايات

المبحث الأول: رواية طوارق

ملخص الرواية

تعرض هذه الرواية قصة "غزال صيَّاح" الطارقي، ابن الصحراء، الذي يقتل العسكر أحد ضيفيه، ويعتقلون الضيف الآخر. فيسعى جاهداً للثأر من العسكر وتحرير ضيفه من سجانیه، وفي الطريق تُعتقل عائلته، ويضطر إلى القتل، ليكتشف بعد ذلك أن ضيفه ذاك لم يكن إلا منشقاً سياسياً، ورئيس حكومة فيما بعد.

- سيميائية شخصية الطارقي "غزال" -

1- الاسم

يشكل اسم البطل رمزية بعينها، فلا يتم اختياره إلا وفق وظيفة يؤديها ذلك الاسم في سير تلك القصة. كما يساهم اسم الشخصية _ بالطاقة الصوتية التي يشتمل عليها _ في تحديد السمات الدلالية لتلك الشخصية، إضافة إلى إمكانية استكناه الأفعال المستقبلية للشخصيات من خلال أسمائها (هامون، 2013، ص 17). ففي رواية (طوارق)، يُدعى البطل بـ "غزال صيَّاح" ويرمز اسمه إلى أحد كائنات البيئة الصحراوية في جزئه الأول، وهو الغزال، بينما يشير الجزء الثاني منه إلى صفة على وزن "فَعَّال"، في مقام المبالغة من الشيء، وهو اسم لا يُستغرب ممن ولد وسط حكايات الثأر والدم. كما يصف "غزال" نفسه بأنه "الإنموشار" الوحيد المستقر في الصحراء، وهو لقب يُطلقه الطوارق على أنفسهم (فيكيروا، 2004، ص12).

2- الصفات / المظهر الخارجي

الملابس الفضفاضة: كانت أوصاف "غزال" في الرواية محدودة، فقد وصف السارد ثيابه التي ارتداها أثناء معركته مع "مبارك" بأنه طويلة، واسعة. "أدرك بغتة كم هي غير مناسبة ثيابه الطويلة، عمامته الواسعة، ولثامه العريض. عباءته كانت تعيق رجليه وذراعيه، والـ "نايلس" بنعله السميك وإطاره الرفيع المصنوع من جلد الغزال يجعله ينزلق على الحجارة الحادة، واللثام كان يعيقه في وضوح الرؤية، وفي وصول الأكسجين اللازم إلى رتتيه" (فيكيروا، 2004، ص45).



www.mecej.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

اللثام: تبين من السرد بأن اللثام الذي يحيط بوجهه كان سميكاً، مغطياً لوجهه، ماعدا فتحة ضيقة تظهر منها عيناه. "أريد أن أقبض عليه حياً كي أنزع لثامه، أرى وجهه، ويرى بدوره وجهي!" (فيكيروا، 2004، ص89).

عباءة فوق الثياب: ورد في السرد ذكر للعباءة الزرقاء التي كان يرتديها "غزال" فوق ثيابه، والتي تخلى عنها في الصحراء وقت محاصرة الجنود له. "نزع عنه العباءة الزرقاء، تاركاً للعيان ما تحتها فحسب" (فيكيروا، 2004، ص115).

الطول والكلام: أراد السارد أن تظل مخيلة القارئ نشطة حيال التنبؤ بالأوصاف الجسمانية للبطل "غزال"، ثم ذكرها عرضاً في السرد، فجاء على صفة الطول، وطريقة الكلام المتقطعة، في معرض استعادة الملازم أول "رازمان" لهيئة الطارقي الذي يطارده في الصحراء. "حاول أن يتخيل ذلك الرجل الطويل، بحركاته النبيلة، وكلامه المتقطع، الذي تصرّف مقتنعاً بأنه لم يفعل شيئاً أكثر من أداء واجبه" (فيكيروا، 2004، ص118).

النحول: أظهر السرد هيئة الطارقي الخارجية بإبراز نحوله، وجعله صفة مميزة لهيكله، عندما قتل الحراس ليصل إلى "عبد الكبير"، فميّزه الأخير بالنحول والطول. "طارقي طويل وشديد النحول، بلثام كالح يغطي وجهه" (فيكيروا، 2004، ص166).

القوة: لا تحتاج القوة الجسمانية التي يمتلكها الطارقي "غزال" إلى استكشاف، فكل موضع في السرد يشير إلى هذه الصفة الجسمانية فيه. "يمضي ملثماً دائماً، تظهر منه فقط عينان داكنتان ويدان قويتان" (فيكيروا، 2004، ص178).

الملامح: في الرحلة التي حرر فيها "غزال" "عبد الكبير" من حبسه، وأخذه إلى الصحراء، طلب منه الأخير نزع لثامه كي يرى وجهه، ويطمئن إليه، فرأى وجهه متجعداً، نحيلاً وتعلوه مسحة من الحزم. "رفع يده، وترك اللثام يسقط، سامحاً له أن يتمحص وجهه النحيل والحازم، وقد خططته غضون عميقة" (فيكيروا، 2004، ص188).

3- الأخلاق/ القيم

حماية الضيف وإكرامه: يمكن تتبع القيم التي نشأ عليها "غزال صياح" من خلال أفعاله، فحماية الضيف، والحفاظ على حياته واحد من أهم تقاليد الطوارق، حتى لو كان ذلك الضيف مطلوباً من قبل القانون. "التقاليد عمرها ألف عام، وأنت لا تكاد تبلغ الخمسين، اترك ضيوفك بسلام" (فيكيروا، 2004، ص31). كما أنه كان مضيفاً، شديد الكرم، وهذه سمة تكثر في أهل



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

الصحاري. "ومعروف في كل الصحراء الشاسعة بأن غزال صيَّاح ليس له مثيل في الضيافة، من تمبكتو حتى ضفاف النيل" (فيكيروا، 2004، ص31).

الغلظة: تعكس الصحراء سماتها على البشر، من تلك السمات الغلظة، وإن كانت تغلبهم الرحمة أحياناً إلا أنهم يعودون إلى ما فُطروا عليه من الجفاف. يمكن استقراء ذلك من الحوار الذي دار بين "غزال" وزوجته "ليلي" حين أثار حديثه فيها الحزن. "تألم إذ بعث فيها الحزن، لأنه يحبها، مع أن "إموهاغ" لا يجب عليه أن يبدي رفته كثيراً مع النساء" (فيكيروا، 2004، ص26). كما يمكن الاستدلال بملاحظة "عبد الكبير" لانعدام تفاعل "غزال" مع قتل الجنود، كونه مؤشر على غلظته. "تساءل، أي صنف من البشر ذاك الذي اعترف بأنه قتل أربعة عشر كائناً إنسانياً بينما هم نيام، دون أي أثر خفيف في نبرة الصوت، دون أي اعتذار، دون أي إشارة تنم عن أقل بادرة من الندم" (فيكيروا، 2004، ص169).

الكرامة: ظهرت حمية "غزال" لكرامته في موضعين: أولهما حينما قرر الثأر لضيفه المقتول، وثانيهما حين طلب منه الاستسلام في الصحراء وتسليم نفسه للسجن، ففضل الموت على هذا الخيار. "ينتظر الموت رابط الجأش، في ظل مهرية، متهماً من قبل أعدائه، ومقتنعاً أنّ هذا الموت كان أكثر نبلاً وكرامة من الاستسلام والسجن" (فيكيروا، 2004، ص123).

الاعتداد بالنفس: أظهرت الأحداث بأن "غزال" لم يكن يتحلى بالتواضع تجاه أصله ونسبه، فقد كان شديد الكبرياء إذا ما قورن بمن هم أقل منه من القبائل. "أي سلاله أخرى استطاعت أن تبقى على قيد الحياة ألفي عام في مثل هذه البيداء؟ إذا ما نفذ الماء أنا أتابع العيش، بينما أنت تلتهمك الديدان، أليس هذا دليلاً على أن الآلهة اختارتنا؟" (فيكيروا، 2004، ص191).

4- العلاقة بالمكان

السيطرة: في رواية (طوارق) تلعب الصحراء الأفريقية دور البطولة جنباً إلى جنب مع البطل، ويمكن إطلاق لفظ "الفضاء" على هذا المكان الذي يعدّ مسرحاً للعب الأدوار. إذ الفضاء الروائي هو "المكان الذي تتحدد في داخله المشاهد والصور والرموز التي تشكل البنية الأساسية للنص السردي، بوصفه الحاضنة الطبيعية للشخصيات الروائية" (بلعباس، 2017، ص291). وداخل هذا المكان المفتوح يوجد مكان مفتوح آخر، لكنه مخصص لاستشعار "غزال" لوحده، وانفتاح نفوذه، وهو المكان الذي يكون فيه وحيداً مع حيوانات الصحراء. "لا شيء يضع حدوداً لسيطرة الصياد "غزال" الذي ابتعد شيئاً فشيئاً عن المراكز المأهولة، كي يستقر في أبعد نقطة في



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

الصحاري، هناك حيث يستطيع أن يشعر بأنه وحيد بشكل كامل مع حيواناته البرية" (فيكيروا، 2004، ص13).

الاستقرار: وإذا تم تتبع العلاقة مع مكان المعيشة داخل هذه الصحراء، فسوف يكون مضرب الخيمة المنسوجة من وبر الجمل، تجاورها نصف درزينة من الزرائب، أمامها بئر، وحولها تسع نخلات، وفيها جمال ومعيز. هذا هو الوصف الدقيق للمكان الصغير الذي عده السارد "إمبراطورية" صغيرة لغزال، ارتبط عنده بالأمان، إذ ترقد فيه عائلته بسلام، وينفذ خدمه أوامره، ويشكر الله تعالى بسببه.

التحدي: يُعرف موطن الطوارق بأنه الصحراء، مع ذلك؛ فإن الأمكنة في هذه الصحراء لا تتشابه. فهناك أماكن صالحة للعيش بحكم قربها من منابع المياه، وهناك مواطن لا تُبقي على الحياة لشدة جفافها وحرارتها. من هذه الأماكن "أرض الخواء" التي كانت علاقتها بغزال علاقة العزيز الممتنع الذي لا يقدر عليه إلا أشد الرجال. لذلك خرج إليها مرتين في حياته، كنوع من إثبات الذات. "عبر غزال في حياته إحدى بقع أرض الخواء تلك مرتين: الأولى كانت نوعاً من التحدي (...). والثانية وكان قد أصبح رجلاً، أراد أن يبين لنفسه بأنه مازال جديراً بأن يكون ذاك الغزال القادر على المخاطرة بحياته" (فيكيروا، 2004، ص19).

الاستقلال: بحكم مساحاتها الواسعة، وخلقها من الأسباب التي تجذب المطامع، ظلت الصحراء مكاناً يسبغ على من يعيش فيه الاستقلال من التبعية لأي استعمار أو نظامٍ حاكم. تتجلى هذه العلاقة من خلال حوار "غزال" مع شاب نجا من الموت عطشاً، حين سأله عن حدود الصحراء، فأجابه "غزال": "الصحراء مكوّنة من بلدان حرّة ومستقلة، ألا تعلم ذلك؟" (فيكيروا، 2004، ص23).

التأمل: كان ارتباط "غزال" بالمكان يدفعه إلى صفاء الذهن، والذهاب إلى الكتيب المرتفع كي يمعن النظر في حياته كلما شعر بالحاجة إلى التأمل. "كان يحب الجلوس فوق ذلك المرتفع كي يشكر الله على نعمه الكثيرة: العائلة الرائعة المتناسقة، صحة، خدمة، الحالة الجيدة لحيواناته، ثمار نخيله" (فيكيروا، 2004، ص13).

شخصنة الحيوانات: لا يمكن نزع المكان من مكوّناته، مثل أجوائه وكائناته وتضاريسه، والتي بدونها لا يتحدد المكان ولا تُعرف سماته. وتشكّل الحيوانات جزءاً أصيلاً من الصحراء، سواء كانت الحيوانات البرية، أم التي دجنها الإنسان، كما أنها تمدّ الإنسان بأسباب بقائه كأن يأكل



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

منها، ويستنفع بجلودها، أو تكون هي صديقته مثلما يتضح هذا من خلال رواية طوارق. "يحب رجل الصحراء بهيمة، غالباً ما تكون حياته متعلقة بها" (فيكيروا، 2004، ص17). إذ يعتبر "غزال" جملة "تامان راسيت" أنيسه وأمين سرّه، يثق به، ولا يقبل التنازل عنه. "وخلسة، حينما لا يستطيع أحد سماعه، يخاطب المهري بصوت مرتفع، وكأنه يدرك ما يقوله له" (فيكيروا، 2004، ص17).

5- أفعال الشخصيات/ الأحداث

تدور أحداث الرواية متركزة على ما تثيره أفعال "غزال" من دوائر، بيد أن تلك الأفعال على اختلافها كل مرة، إلا أنها تؤكد على سماته الشخصية التي هي بشكل بارز: الإيمان، الشرف، الحكمة، الأصالة، والحب.

الإيمان: يتحرك البطل في الرواية ضمن إطار الخضوع والتسليم، والشكر والامتنان، منطلقاً من قاعدة إيمانية، تدل عليها أفعاله، مثل الصلاة والدعاء، والمناجاة لله تعالى. "في كل يوم، في كل صلواته متوجهاً إلى الشرق، إلى مكة، يقدم الشكر إلى الله لأنه سمح له بالعيش حيث يعيش، وينتمي إلى السلالة المباركة لرجال اللثام" (فيكيروا، 2004، ص41). كما أن هذا الإيمان يتحكم في نواياه، إذ يستحضر عقيدته في كلّ ما يقدم عليه، حتى في صيد الحيوانات. "إنّ طلقة في الرأس من ذلك البعد أكثر فعالية بلا ريب، لكنّ "غزال" كمسلم صالح لا يأكل لحمًا غير مذبوح باتجاه مكة، تالياً الصلوات التي أمر بها الرسول" (فيكيروا، 2004، ص 49).

الشرف: تندرج تحت مفهوم الشرف العديد من تصرفات البطل، وردود أفعاله، حتى المتطرف منها. فمن الشرف عنده خروجه في طلب الثأر بعد مقتل أحد ضيفيه واعتقال الآخر، تاركاً خلفه عائلته وخدمه وحيواناته، رافضاً التنازل وتجاهل ما حدث. "لن ينسى أبداً أن رجلاً أعزل قُتل تحت سقفه، والآخر ضيفه قد انزع منه بالقوة" (فيكيروا، 2004، ص39). ويمكن التفسير بأنّ اقتحام خيمته، والاعتداء على ضيف تحت حمايته هو قدح في شرفه، لذلك خرج في طلب العدالة. "إذا قبلت بأن يقتلوا واحداً من ضيوفني، ألا يجب أن أقبل باغتصاب وقتل عائلتي؟" (فيكيروا، 2004، ص33).

الحكمة: تتحكم عوامل كثيرة في إكساب الإنسان الحكمة، منها النشأة، والتجارب، والتعليم، وقد اكتسب "غزال" حكمته من طول تأملاته، ومن تربية أبيه، وكذلك من حياته الشاقة، فكان لا يقدم على فعل إلا وتسبقه الحكمة من الإقدام عليه. ومن ذلك ذبح ناقته الوحيدة عندما كان يخطط



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

للانتقام، كي يشرب من مخزون بطنها الماء الذي يبقيه حياً. كما كان يتجنب قتل الحيوانات بدون معنى في رحلات الصيد بدون حاجة. "علمني أبي ألا أقتل سوى غزالة واحدة (...). أنا أشقى بعد ثلاثة أيام من المسير، ولكن لا أحد يستطيع إعادة الحياة لغزالة ميتة" (فيكيروا، 2004، ص13).

الأصالة: تتعلق الأصالة بالشرف، فكل ما دافع عنه "غزال" هو حقه في الحياة، بقوانينه التي ورثها عن أجداده، بدون العبث بها، وإدخال قوانين المحتل، أو افتعال قوانين من أجل إقامة دولة جديدة، ومن أجل هذا خرج في الصحراء محارباً جيشاً من المسلحين بدون زاد ولا راحلة. "إذا كنتم غير قادرين على التكيف مع كل شيء، فمن الأفضل احترام ما هو موجود، من الحماسة الهدم قبل البناء سلفاً" (فيكيروا، 2004، ص135). وتتبدى الأصالة أيضاً في موقفه مع "عبد الكبير" حين واجهه، وطلب منه العودة لأجل حمايته، بعد قتل جنوده جميعاً. " طلبت مني حمايتك، وعليّ أن أحميك.

– قتلت أربعة عشر رجلاً كي تحميني؟ إن لفي ذلك مغالاة، ألا تعتقد ذلك؟" (فيكيروا، 2004، ص168).

الحب: ويقابله الكراهية، إذا لا يُذكر أحدهما إلا بنقيضه، وفي الرواية يتحرك "غزال" ضمن هاتين الدائرتين، بحيث يصب فيهما جميع أفعاله، ببقاؤه في الصحراء يحميها هو حب، وكذلك الإيمان، والشرف والعناية بالعائلة. أما انتهاك قانونه المتوارث من حماية الضيوف فقد أدى إلى كسر هذا الحب تجاه من قاموا بذلك. لذلك كان خروجه مقتفياً أثر الواشي هو من باب الكره والحقد الذي أوجده غياب قيمة الحب تجاه هذا الفعل وهو الخيانة. "الضغينة الجمة، والرغبة الجامحة في الانتقام اكتنفت الضربة الشديدة التي سددها للتوّ بيديه" (فيكيروا، 2004، ص45). كما ظهر من خلال السرد المتتابع لأفعاله بعد إيصاله ضيفه "عبد الكبير" إلى الأمان، استنفاره للبحث عن عائلته، والعناء الذي لقيه في التنقل من الصحراء إلى المدينة من أجل إيجادهم. "نام محتاجاً إلى ليلي، وحينما استيقظ، تحوّل جسد المرأة الصلب الذي كان يضمّه في أحلامه إلى رمل ناعم ينساب بين أصابعه" (فيكيروا، 2004، ص41).



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

6- العلاقة بالعالم الحديث

تسهم العلاقات التي تنسجها الشخصية مع العالم الخارجي، بما فيه من شخصيات في تحديد سمات الشخصية التي لا تتحدد من خلال أفعالها داخل السرد فقط، بل من خلال شبكة علاقاتها أيضاً (هامون، 2013، ص17).

العزلة: كانت علاقة "غزال" منقطعة عن المدنية تماماً، إثر هجرة ابن عمه "سليمان" إلى المدينة. "في ذلك اليوم أدرك "غزال" بأن عليه أن يهرب، ويتحول على الطارقيّ الأوحده الوحيد" (فيكيروا، 2004، ص14). كما أن علاقته بالعالم الخارجي الكبير كانت منقطعة أيضاً، ففي حين أن العالم عاش أزمة من الحرب والجوع والفقير والقتل، إلا أنه لم يكن متصلاً بها ولا متفاعلاً معها، لأنها لا تؤثر على سير حياته. "عاش العالم في تلك الأزمنة أحداثاً غريبة، وصلته عنها إشاعات محيرة جداً، عن طريق بعض المسافرين المنعزلين" (فيكيروا، 2004، ص14). ويتبدى بعد "غزال" عما يدور من الأحداث الراهنة، واعتماده في المعرفة على القليل من الأخبار التي يأتي بها البدو الرّحل، وذلك بسبب بقائه في الصحراء، بدون رغبة حقيقية في المعرفة.

- " عبد الكبير هو صانع استقلالنا (..) هل من الممكن حقيقة أنك لم تسمع أحداً يتكلم عنه؟ - أبدأ.

- أين كنتَ خلال كل هذه السنين؟

- في الصحراء. لم يأت أحد ليحدثني عما يحدث" (فيكيروا، 2004، ص150).

الجهل السياسي: تعرض الرواية حال البلاد بعد استقلالها من الفرنسيين، وتصارع التيارات السياسية للتفرد بالسلطة. اتضح ذلك من خلال عدة حوارات بين "غزال" وآخرين. أولها الحوار مع الملازم أول "رازمان" حول كيفية إدارة العالم، ظهر بأن الطارقيّ غائب عن فهم المصطلحات المتعلقة بالسياسة الحديثة، وبالتالي جاهل بمدلولاتها.

- " ماذا يعني جمهورية؟

- لا تطلب مني أن أشرح لك الآن كيف يعمل العالم" (فيكيروا، 2004، ص133).

وفي موضع آخر أيضاً حين التقى بالبدو الرّحل، كان الجرفي التابع لهم يشرح له باختصار ما يحدث في العالم باستخدام بعض المصطلحات وشرحها ليفهم "غزال".

- " تعلم ماذا يعني شيوعي؟



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

نفى غزال متيقناً: لم أسمع الكلام عنهم قط. هل هم طائفة؟

– سياسية فقط.

– سياسية؟ ردّ غزال دون أن يفهم " (فيكيروا، 2004، ص 162).

كما يدل السرد على أن الطارقيّ "غزال" لم يكن محيطاً بالدولة التي تتحكم في الصحراء التي يعيش فيها، يجهل حكومتها، وأحكامها بحكم العزلة التامة. "كان يجهل حجم بلده، ويجهل حتى عدد الكائنات التي تقطنه، ومع ذلك وقف في مواجهته (..) دون أن يتوقف ليفكر بالعواقب التي يمكن أن يسببها هذا الجهل" (فيكيروا، 2004، ص 256).

الجهل بأدوات الحضارة: حين انتزع "غزال" ساعة المحافظ، وقدمها للبدو مقابل المؤونة، لم يكن يعرف اسمها ولا طريقة الاستفادة منها سوى ببيعها.
"- لا أعرف استخدامها.

– أنا أيضاً لا أعرف، لكن عندما تريد بيعها سيدفعون لك ثمناً ممتازاً، إنها من الذهب!" (فيكيروا، 2004، ص 258). وأيضاً حين استولى "غزال" على السيارة المخصصة للجنود، بعد أن قتلهم، جلس فيها، ولم يكن يعرف كيف يمكن تشغيلها، إضافة إلى احتقاره لهذه الآلة المصنوعة من الحديد. "ليس لديه فكرة عن كيفية جعل العربة تدور، وهي بين يديه ليست أكثر من كومة خردة لا فائدة منها" (فيكيروا، 2004، ص 232). ومن دهشته لسماع مفردة "قطار" يمكن القول بأن أياً من مفردات الحياة الحديثة كان قد وصل إليه، وذلك عندما وصل إلى العاصمة، وأراد البحث عن عائلته، فنصح السائق باستقلال القطار.

"- أنصحك بالقطار فهو أسرع.

– ماذا يعني قطار؟" (فيكيروا، 2004، ص 268).

وكذلك حين توقف عامل الخطوط الحديدية لمساعدته على الوصول إلى بيت ينام فيه، فسأله عما لو كانت معه بطاقة لإثبات الشخصية، ولم يكن "غزال" فاهماً لماهية ما يسأله عنه الرجل.

"- أعتقد أنه لم يكن بحوزتك بطاقة هوية قط، أو نعم؟

– ماذا يعني بطاقة هوية؟" (فيكيروا، 2004، ص 274).

مع ذلك، ظهر من خلال معرفة "غزال" السطحية بجهاز الراديو، أنه فهم عمل هذا الجهاز، ومضاره، مما شكّل صراعاً بين معرفته وبين تسلّمه هذا الجهاز في يده، من ثم أدى إلى تحطيمه بعقب البندقية.



www.mecej.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

"- رأيتُ كيف تتكلمون في هذا الجهاز، وفهمتُ. ما اسمه؟

_ راديو.

_ هذا هو، راديو (..) يطلق زعيماً ويخرج الضجيج، هكذا وجدتموني، أليس كذلك؟" (فيكيروا، 2004، ص132).

المعرفة بالسلاح: يظهر من المعركة الأولى التي خاضها "غزال" ضد غريمه الذي وشى بضيوفه "مبارك"، أنهما كلاهما لا يجيدان استخدام السيف. ويدل صوت الراوي على أنهما من رجال الأسلحة النارية، أي أنهما على الرغم من الحياة داخل الصحراء، كانت الحياة الحديثة قد انعكست على أدوات الحرب لديهما، فاستبدلا السيوف بالبنادق والمسدسات، وغيرها، مما عكس شكلاً من أشكال التواصل مع العالم الخارجي الحديث. "إذ أن لا مبارك ولا غزال كانا محاربي سيف ورمح، إنما رجال الأسلحة النارية" (فيكيروا، 2004، ص44). كما يبدو أنّ الأسلحة هي الأدوات الوحيدة التي اتصلت بالطارقي من العالم الحديث، وعرف استخدامها.

المبحث الثاني: رواية (نزيف الحجر)

ملخص الرواية

تندرج رواية "نزيف الحجر" ضمن الروايات الأسطورية التي تستقي مادتها من الحياة الصحراوية، وسكانها، وحيواناتها. إذ تم توظيف الأسطورة على أنها دستور مفسّر للحاضر ومطلع على المستقبل. وقد استعملت الأسطورة في الرواية كأداة فنية، فمزج بين الصحراء كمكان وبين هذه الأسطورة، من أجل خلخلة المفاهيم السائدة في هذا المكان (بلعباس، 2017، ص196). والرواية باختصار عن أسطورة شاب اسمه "أسوف" ارتبطت حياته بحيوان "الودّان"، وبسببه نجا من المهالك، وبسببه أيضاً سُفك دمه على يد "قابيل" رمز الشرور وانتهاك الحرمات، ونزف على الحجر دم البطل في نهاية القصة، لكي تنفك اللعنة، ويحل الخير على الصحراء من جديد.

- سيميائية شخصية الطارقي "أسوف" -

1- الاسم

"أسوف" مشتق من الأسف، على اعتبار أن الاسم عربيّ صرف. ويرتبط الاسم بأفعال الشخصية ارتباطاً وثيقاً، فهو الذي نقض نذر أبيه للودّان، ثم تأسف وندم طوال القصة.

2- الصفات/ المظهر الخارجي

الثام: ظهر البطل في الرواية مثلماً على عادة الطوارق. "وكي يداري ارتبأكه، سارع يعدّل من وضع لثامه على وجهه" (الكوني، 1992، ص 18).

الشعر واللحية: لم تُذكر أوصاف كثيرة للبطل "أسوف"، وكانت أول صفة تظهر له في السرد هي حين قيده "قابيل" من يديه ورجليه. فـ"ظهرت لحيته المكسوة بالبياض، ورأسه المههد بالصلع" (الكوني، 1992، ص 108).

هيئة الجسم: جاء وصف هيئة جسم "أسوف" الخارجية بدون تفاصيل، في الحلم الذي رآه "قابيل" وهو على فراش المرض. "نحيل الجسم، طويل القامة، تقطر من رقبته الدماء" (الكوني، 1992، ص 139).

3- الأخلاق/القيم

تحمل المسؤولية: تحمل "أسوف" على عاتقه مسؤولية عائلته بعد وفاة أبيه، وتولّى جميع مهامه في سني شبابه الأولى، على الرغم من صعوبة الأمر، حيث كان البيع والشراء _ على سبيل المثال _ أمراً غير معتاد بالنسبة إليه، لأنه كان منعزلاً عن الناس. "بعد غياب الأب تولى المسؤولية، يرعى الأغنام، ويتفقد الجمال (..) ويذهب إلى طريق القوافل ليقايض(..) ولم تكن المقايسة أمراً سهلاً لشاب لا يملك لغة يخاطب بها الناس" (الكوني، 1992، ص 37).

الخجل: أحد صفاته التي اكتسبها البطل من تنشئة أبيه له على اعتزال البشر هي الخجل في أي مواجهة بينه وبينهم. "لعن يوم وُلد ويوم سكنه خجل العذارى" (الكوني، 1992، ص 42).

4- العلاقة بالمكان

المكان في رواية "نزيف الحجر" هو مكان مليء بالصخور والكهوف، والنقوش الحجرية، والشجر، وإن كانت في النهاية مكونات لصحراء واسعة، شديدة الحرارة. وقد استطاع السارد استنطاق سكنون هذه الصحراء استنطاقاً فلسفياً وميثولوجياً، واستثمار أساطيرها، وقيمها وعاداتها، وذلك لبناء قصة ذات عمق دلالي، وبُعد موضوعاتي عميق (بريك، 2021، ص 95).



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

الاعتیاد: يمثل المكان الذي يعيش فيه "أسوف" بالنسبة إليه علاقة اعتیاد وألفة، فهو يحفظ أشكال نقوشه الحجرية منذ كان شاباً يرعى الغنم. "لم يخطر ببال "أسوف" في الماضي (..) أن يكون هذا الرسم المحفور في الصخور يمثل هذه الأهمية كما يراه اليوم، عندما أصبح قبلة لسياح نصارى، يأتيونه من أبعد البلدان" (الكوني، 1992، ص8).

الاستئناس: تبدو العلاقة بين "أسوف" والمكان علاقة حميمية، تتجاوز كونها موطن للمعيشة، إلى أنها صديق يؤنسه، ويلوذ به. "يهرب من الرمضاء، ويحتمي بتجاويف الصخور لاهثاً. يستلقي بعض الوقت، ثم يزحف إلى الجدار الصخري، ويبدأ يزيح طبقات الغبار حتى يكشف الخطوط المحفورة في الأحجار" (الكوني، 1992، ص10).

الاحترام: كان والد "أسوف" يعلّقه بقوانين المكان، ويعلمه احترامها، وإن كانت متوارثة، غير مكتوبة. فلكل مكان أرواحه التي تحرسه، وتغضب إذا تجاوز الإنسان حدودها ظلماً. "وكان يؤكّد أن روح الغزال تقوى وتشتد إذا زادت عن واحدة، تتغلب على حصن القرآن وأحجية السحر، ولن تفيد تمائم العرافين ولا تعاويذ الفقهاء" (الكوني، 1992، ص46). "قال إنه خان النذر، وستعاقبه روح الجبال على ذلك" (الكوني، 1992، ص49).

بناء الأساطير: ينشغل الأب بتلقين ابنه الأساطير التي يغزلها حول المكان الذي يعيشون فيه، من ثم يتبنى الابن "أسوف" تلك الأساطير، ويبني عليها يقينه الخاص. "أنا أسمع محادثات الجن في الكهوف كل يوم، يقولون أشياء مدهشة، ويخطر ببالهم في بعض الأحيان أن يغنوا، أنا لا أخاف الجن" (الكوني، 1992، ص10). "كانت آلهة السماء تنزل إلى الأرض مع الامطار وتفصل بين الرفيقيين (..) وفي يوم غضبت الآلهة في سماواتها العليا، وأنزلت العقاب على المتحاربين. فتحايل الرمل ودخل في روح الغزلان، وتحايلت الجبال من جهتها ودخلت في الودان" (الكوني، 1992، ص26). "لقد كسر الحيوان المسكون رقبتة، كما كسر هو يوماً رقبة ذلك الودان الذي انتحر" (الكوني، 1992، ص34).

تقدیس الحيوانات: كانت للأب علاقة وثيقة بحيوانات الصحراء والجبال، سيما "الودان"⁽¹⁾، يرفعها إلى منزلة الآلهة أحياناً، ويفي بالندور التي يقسم بها أمامها، بل ويخاف إن أخلف عهداً منها، فتجاوزته لأي سبب كان. وهذه العلاقة بمكونات المكان انتقلت إلى ابنه "أسوف" الذي رباه على

(1) الودان: "أقدم حيوان في الصحراء الكبرى، وهو تيس جبلي انقرض في أوروبا في القرن السابع عشر". (الكوني، 1992، ص8).



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

احترام الحيوان، والخوف من الاستهانة به. "هل تظن أنّ الحيوان لا يفهم لمجرد أنه لا يقدر أن يتكلم مثلك؟ إنه أذكى منك ومني" (الكوني، 1992، ص55). كما كان الأب يستنكر قتل الحيوان لمجرد أكله، مما يؤكد على نظرتة الرفيعة للحيوان من خلال تأملاته التي كان يبثها إلى ابنه. "إذا لم يقتل الإنسان غزلاً، هل يموت من الجوع؟ ولماذا يجوع الإنسان حتى يضطر أن يسفح دم هذا المخلوق الجميل؟" (الكوني، 1992، ص56).

5- أفعال الشخصية/ الأحداث

الإيمان: تبدأ الأحداث بصلاة البطل "أسوف"، متجهاً إلى القبلة، بعد أن تطهر عن طريق التيمم، الذي يكون جائزاً في الشريعة عندما يندم الماء. "سمع هدير المحرك البعيد فقرر أن يسرع ويعطي لله حقه قبل أن يصل النصارى" (الكوني، 1992، ص7). وبالحديث عن الإيمانيات، فالإيمان عند البطل لم يكن مقتصرأ على اليقين المتولد من أداء الشعائر الإسلامية، بل كان يستمد إيمانه أيضاً من كل ما أشيعت قداسته، مثل التمانم والتعاويذ في ملل ومعتقدات أخرى. "لا يتحرك باتجاه القمم المهيبة إلا بعد ان يقرأ كل الآيات التي يحفظها من القرآن، ويردد تمانم السحرة الزوج بلغة الهوسا، ويعلق على رقبتة التعاويذ المحصنة في جلود الثعابين التي جلبها له تجار القوافل من العرافين" (الكوني، 1992، ص31). ويظهر من الحادثة التي تعارك فيها مع الودان وظلّ معلقاً بين الجبال والهاوية بأنّ الشيء الوحيد الذي أبقاها حياً ومتشبثاً بالصخرة الناتئة طوال الليل هو إيمانه، واستحضاره لكلمات أبيه عن هذا الإيمان. "لولا الله في القلب، لسقط من زمان في هاوية الظلمات التي تشده من رجليه إلى أسفل" (الكوني، 1992، ص68).

الحكمة: كانت الحكمة عنده مرتبطة بتحمل المسؤولية، فاكنتسابه الحكمة كان عن طريق دروس والده الكثيرة التي كان يلقنها له، من ثم بدأ باستيعابها بعد وفاة أبيه، وإدراكه أن لكل فعل عواقب، وعلى المرء احتمال تلك العواقب، وقد ظهرت تلك الحكمة حين كان معلقاً فوق الهوة، وكاد أن يستسلم ويلقي بنفسه إلى الموت، لولا استحضار ما تعلمه من أبيه. "من اختار أن يعيش طليقاً في الصحراء فعليه أن يتولى أمره بنفسه (..) إذا وقعت في الفخ فعليك أن تخرج منه وحدك، وإذا لم تستطع، فتقبل مصيرك بشجاعة" (الكوني، 1992، ص62).

الإصرار: في مطارده للودان، كان "أسوف" _ على الرغم من تحذيرات أبيه _ يود بشدة أن يصطاد واحداً، وعندما ظفر بواحد منها في وسط قطيعه، ربط قرنيه بحبل، برغم هياج الودان، وسحب له على الصخور، لكنه ظل متمسكاً برغبته في الصيد، واستمرت المعركة بينهما بدون أن يستسلم



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

"أسوف". "كيف يتراجع بعد هذا العراك الوحشي؟ كيف يسلم بعد أن نزف الدم ومزقت جسده أحجار الطريق؟" (الكوني، 1992، ص59).

التحوّل: بعد معركة الودان وإنقاذه له، عاف "أسوف" أكل اللحم، واتخذ له مبدأ بأن "من يقدر أن يأكل لحم الودان يقدر أن يأكل لحم الإنسان أيضاً" (الكوني، 1992، ص75) ثم غادر الصحراء إلى الواحة، واختلط بالبشر، لكنه اعتقل من قبل الإيطاليين ليتم تجنيده لغزو الحبشة مع بقية الشباب، وفي المساء، قيل بأنه تحوّل إلى ودان وهرب من الأسر كما تناقل الناس. "هل كان دراويش الصوفية يقرؤون الغيب في رؤياهم عن الولاية والحلول؟" (الكوني، 1992، ص84).

6- العلاقة بالعالم الحديث

العزلة: يُظهر السرد في البداية البطل معزولاً عن الناس، بحكم نشأته، وجاهلاً باللغة التي يمكنه بها إنشاء جسر اتصال بينه وبينهم، سيما بعد وفاة أبيه، وتولييه مسؤولية العائلة، من ثم دل هذا على انتفاء رغبته في التواصل. "لم تكن المقايضة أمراً سهلاً لشاب لا يملك لغة يخاطب بها الناس (..) ومن أين له أن يعرف، وقد عاش طوال عمره معزولاً عنهم، بعيداً، خائفاً منهم؟" (الكوني، 1992، ص37).

التواصل: يظهر أن بطل الرواية بعد أعوام أصبح لديه اتصال إيجابي بالعالم الحديث، فكما يبدو من الأحداث أنه عمل دليلاً للسياح الذين يأتون لمشاهدة النقوش الصخرية. "قرر أن يسرع ويعطي الله حقه قبل أن يصل النصارى الذين تعود في السنوات الأخيرة أن يستقبلهم في الوادي ليتفرجوا على الرسوم المحفورة في الصخور" (الكوني، 1992، ص7). وعند خروجه من الصحراء إلى الواحة، انقض عليه الإيطاليون، وقادوه إلى الحبس، كي يتم تجنيده لغزو الحبشة، لكنه تمكن من الفرار، بعد تمثله روح الودان المسكون. "رأوا المعجزة لأول مرة في حياتهم، شاهدوا إنساناً يفلت من الأسر ويتحول إلى ودان، يعدو نحو الجبل، يتقافز فوق الصخور في سرعة الريح، غير عابئ بمطر الرصاص الذي ينهال عليه من كل جانب" (الكوني، 1992، ص83).

الفصل الثاني: المقارنة

المبحث الأول: التشابه والاختلاف

- الاسم

اختلفت أسماء الشخصيتين في الروايتين وكذلك مدلولاتهما، فدلّ اسم "غزال صياح" على السرعة والقنص والقوة، في حين ارتبط اسم "أسوف" بالندم والخوف والضعف.

- الصفات/ المظهر الخارجي

كان الاتفاق بين الروايتين في ذكر (اللثام) وهو الصفة المميزة لهيئة الملابس التي يرتديها الرجال الطوارق، إضافة إلى الطول والنحول.

بينما اختلفت التفاصيل الأخرى، فذكرت رواية (طوارق) أوصافاً لملابس الطارقي من حيث كونها فضفاضة، تلوها عباءة زرقاء، وذكرت أوصافاً أخرى مثل القوة الجسمانية، طريقة الكلام، والحزم في الملامح وكذلك التجاعيد. في حين كانت رواية (نزيف الحجر) مقلّة، فوصفت الرجل بأنه كان ملتحمياً، بلحية بيضاء، وبأن رأسه كان شبه أصلع فقط.

- الأخلاق/ القيم

اختلفت الروايتان في تقديم الطارقي، كل منهما بحسب منظوره، بحيث سُلّط الضوء في رواية (طوارق) على عدة أمور، منها: حماية الضيف، الغلظة، الكرامة، والاعتداد بالنفس. وهذه الصفات كانت تحت سلطة السرد، الذي احتاج إلى الإسهاب ليبرر أفعال البطل. بينما اكتفت (نزيف الحجر) بجعل البطل في ذهن القارئ بارزاً في قيمتين اثنتين: الخجل، واحتمال المسؤولية. وإذا كان البطل في جميع الرواية يتعرض للمتاعب، فهو يتعامل معها من هذين المنطلقين المؤثرين في شخصيته.

- العلاقة بالمكان

تشابهت الروايتان في تعلق البطلين بالحيوانات، وإن كان أحدهما يجنح لتقديسها وهو "أسوف"، بينما يشخصنها الآخر ويصاحبها كما يصاحب البشر وهو "غزال صياح". وتختلف الروايتان في البقية. ففي رواية (طوارق) تُعدّ علاقة البطل بالمكان علاقة سيطرة، واستقرار، واستقلال، وتأمل، وتحدي. أما في رواية (نزيف الحجر) فظهر أنّ علاقة البطل بالمكان كانت علاقة اعتياد، واستئناس، واحترام، كما أن تلك العلاقة أدت إلى بناء الأساطير.

- أفعال الشخصية/ الأحداث

التفت أفعال الشخصيتين في منطلقات الإيمان والحكمة. وافتقرت الأفعال عند "غزال" الذي كانت جميع الأحداث الصادرة عنه تقود إلى الشرف والاصالة والحب. في حين أنّ "أسوف" تبعاً للحدث العجائبي كانت أفعاله تتحرك ضمن إطار الإصرار والتحوّل.

- العلاقة بالعالم الحديث

تقاطع "غزال" مع "أسوف" في عزلتهما التامة عن العالم الخارجي في بادئ الأمر. من ثم خرج "غزال" إلى العالم الحديث ليأخذ بثأره، واضطر "أسوف" للتواصل مع الآخرين لكسب قوته. ولكن البطلين اختلفا في البقية، فظهرت معرفة "غزال" باستخدام السلاح الحديث، متمثلاً في البندقية والمسدس، بينما ظهر جهله في السياسة ومصطلحاتها، وفي جهله بالأدوات الحضارية، مثل القطار والساعة، والسيارة، وبطاقة الهوية، والراديو. بينما لم يرد في السرد ما يشير إلى معرفة "أسوف" أو جهله بهذه الأمور.

جدول (1): التشابه والاختلاف

الاختلاف	التشابه	الاسم
(غزال) (أسوف)	---	
(غزال): ملابس فضفاضة، عباءة زرقاء، القوة الجسمانية، الكلام المتقطع، الحزم في الملامح، والتجاويد. (أسوف): ملتحي، أشيب اللحية، شبه أصلع.	اللتام، الطول، النحول	الصفة/ المظهر الخارجي
(غزال): حماية الضيف، الغلظة، الكرامة، والاعتداد بالنفس. (أسوف): الخجل، واحتمال المسؤولية.	---	الأخلاق/ القيم
(غزال): سيطرة، واستقرار، استقلال، تأمل، وتحدي. (أسوف): اعتياد، استئناس، احترام، وبناء أساطير.	تعلق بالحيوانات	العلاقة بالمكان
(غزال): الشرف، الأصالة والحب. (أسوف): الإصرار والتحوّل.	الإيمان والحكمة	أفعال الشخصية/ الحدث
(غزال): جهل سياسي، جهل بأدوات الحضارة، معرفة بالسلاح. (أسوف): تواصل من أجل العمل، تجنيد.	العزلة عن العالم الخارجي	العلاقة بالعالم الحديث



www.mecsaj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

المبحث الثاني: السمات

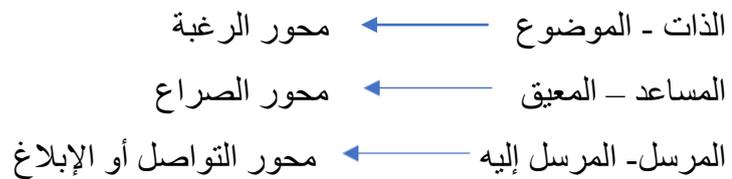
بإبراز السمات التي اشترك فيها البطلان في الروايتين، يمكن التوصل إلى صورة تقريبية لسيميائية الشخصية الطارقية، من خلال منظورين مختلفين، لكنها تدل على أن هذه السمات متكررة في الطوارق عموماً. مما يعني أن هذه الشخصية تنتمي إلى فئة الشخصيات المرجعية⁽¹⁾، وهي "الشخصيات التي تُحيل إلى معنى ممتلئ وثابت حددته ثقافة ما، كما تحيل على أدوار وبرامج واستعمالات ثابتة" (هامون، 2013، ص35). إذ يمكن القول بأنّ الإيمانيات والحكمة أمران مرتبطان بأفعال الشخصيتين، كما أنهما كلاهما كانا متعلقين بحيوان صحراوي ما، والذي هو رمز من رموز التعلق بالمكان، الذي كان البطلان كلاهما متمسكاً به، منتمياً إليه.

إضافة إلى ذلك، اتفقت الهيئة الخارجية للبطلين في الطول والنحول، وتغطية معظم الوجه بالثام. إذ يغطي الرجل رأسه بعمامة، يلفها حول رأسه عدة مرات، حتى لا يظهر من وجهه سوى أهداب عينيه ليرى بهما، وهذه عادة لازمة للرجال في مجتمع الطوارق (القشاط، 1994، ص89). وتعد الشخصية الروائية وحدة دلالية، إن كانت ذات مدلول منفصل، قابل للتحليل والوصف مثل الطوارق في هذه الدراسة، يتم بناؤها من خلال ما تتلفظ به أو يُلفظ عنها، لذلك يمكن اعتبار الشخصية الطارقية "تجميعاً من الصفات الأخلاقية" (هامون، 2013، ص39).

في أطوار العلاقة بالعالم الحديث، وُجدت الرغبة سلبية في البداية، تلاها الاتصال بقطبيه: الإيجابي والسلبى، وكان من الضروري حدوث صراع في أيّ جزء أثناء التواصل.

ويمكن تقسيم علاقة البطلين بالعالم الحديث (بحسب نموذج غريماس) إلى ثلاثة محاور:

الرغبة (العلاقة بين الذات وموضوعها)، **التواصل** (العلاقة القائمة بين المرسل والمرسل إليه)، و**الصراع** (العلاقة الرابطة بين المعيق والمساعد) (بنكراد، 2001، ص77). كما توضحها الجداول الثلاثة التالية:



(1) الفئات الأخرى هي: الشخصيات الإشارية، والشخصيات الاستنكارية. (هامون، 2013، ص 35-36).



www.mecej.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

جدول (2): محور الرغبة

العامل	الرغبة	
ذات البطل	اعتزال العالم الخارجي	غزال
العجز عن التواصل	اعتزال العالم الخارجي	أسوف

جدول (3): محور التواصل

العامل	التواصل	
المرسل: الحاجة للحماية المستقبل: غزال	استخدام السلاح الحديث	غزال
المرسل: أسوف المستقبل: السياح الأوروبيين	العمل دليلاً سياحياً	أسوف

جدول (4): محور الصراع

العامل	الصراع	
الوشاية (معيق)	تخطيم الراديو	غزال
التحوّل (مساعد)	الهرب من الحبس	أسوف

المبحث الثالث: التأثير والتأثير

نظراً لتسليط الضوء في الروايتين على بطل طارق في الصحراء الكبرى، فيمكن الانطلاق من حتمية (البيئة) التي هي إحدى ثلاث من القوانين التي تعمل عملها في الأدباء، وهي: العرق، الزمان، والبيئة (طحان، 1972، ص 89). وذلك بحكم تأثر الكاتيبين بالبيئة الصحراوية، أحدهما أصالة، والآخر بحكم النشأة.

لقد ظهر تأثر مؤلف (طوارق) بالأدب الشرقي، وإبراز التقاليد الصحراوية القديمة، والفهم الواسع للتمسك بالدين الإسلامي من خلال تقديم شخصية "غزال صياح" بإتقان وإعجاب ينم عنهما السرد والحبكة وإظهار البطل بصورة الخارق. وبالنظر إلى نشأته، فهو من مواليد أسبانيا، لكنه قضى



www.mecs.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

طفولته ومراهقته في المغرب العربي وصحرائه (فيكيروا، 2004). لذلك فإنّ بثّ الروح الشرقية من منظور غربيّ بانّت في تفاصيل شخصية البطل، الذي أبدت أفعاله وصفاته انعكاس نشأة المؤلف "ألبرتو باتكث" ومخالطته للمجتمع الذي عاش فيه منذ الصغر، وبالتالي، نقل هذه الحضارة إلى لغته، مما يعني أيضاً وجود تأثير إيجابي أدى إلى إنتاج أدب أسباني عن الطوارق برؤية غربية داخل المجتمع الغربي. لقد غني المؤلف في هذه الرواية بإبراز الصورة التمثيلية للأجنبي، وهي الصورة التي تمثّل الآخر الواقع خارج حدود الذات من ناحية الجغرافيا والثقافة (كاظم، 2004، ص300)، وهو ما يُطلق عليه "علم الصور اتية أو الصورولوجيا"⁽¹⁾.

أما تأثر (إبراهيم الكوني) في روايته (نزيف الحجر) بالغرب، فكان غائباً في الرواية، على الرغم من أن (الكوني) يكتب من بلاد كانت تحت حكم الاستعمار زمنياً، فهو ليبيّ، أمازيغيّ، مولود في ليبيا، ومقيم في أوروبا (بريك، 2021، ص95). لكنّ البطل في روايته طارقيّ أصيل، مستقل بذاته، واضح الهوية، رافض للتماهي مع العالم الخارجي. وحتى في تعامله مع النصاريّ كما سّماهم، كان متخذاً موقف المتفرج، وليس المخالط المنبهر. لكنه كان متأثراً بتراته الشعبي نفسه، بما فيه من أساطير، وحكايات عن الجان والسحر وتلبّس الحيوانات، وغيرها. إضافة إلى أمر مهم وهو أنّ (الكوني) كتب الرواية بالعربية، مع أنها تتحدث على لسان الطوارق، الذين لهم لغتهم الخاصة بهم، وتسمى (تماشك)، وتُكتب بحروف تسمى (التفيناغ) (الأنصاري، 2006، ص32)، وتعود أصولهم إلى البربر (الانصاري، 2006، ص32). بالتالي، فقد كان (الكونيّ) مُصدراً للشخصية الطارقية المحدودة في أقلية إلى العالم العربي بكافة انتماءاته.

الخاتمة والنتائج

تناولت هذه الدراسة سيميائية شخصية الطارقيّ بين الشرق والغرب من منظور مقارني، بين عمليّن مختارين، هما (طوارق) و (نزيف الحجر). وقد حرصت على تتبع سمات كل شخصية على حدة، من ثم إظهار السمات المشتركة، ودراستها، تلا ذلك إيضاح أوجه التشابه والاختلاف، وبيان التأثير والتأثير.

(1) الصورولوجيا Imagology: "دراسة الصور الثقافية التتميطية التي رسمتها الشعوب عن بعضها". (سمير الخليل، ص211).



www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)

العدد الواحد والخمسون (تموز) 2022

ISSN: 2617-9563

ويمكن إيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في الآتي:

- 1- كان لاختيار اسم البطل دور في تكوين سيميائيته الشخصية في ذهن المتلقي عن طريق اختيار أسماء لها تأثيرات سمعية⁽¹⁾ وتدلّ على صفاتها التكوينية. فاسم "غزال" دلّ على سرعة الحركة، واسم "أسوف" ارتبط بالأسف والضعف.
- 2- كان لكل من البطلين وظيفة رئيسية ووظائف ثانوية في السرد. فـ"غزال" كان منقذاً للشرف، وهذه وظيفته الرئيسية، بينما اندرج الثأر، والبحث عن العائلة، وقتال الدخلاء ضمن وظائفه الثانوية. وكذلك "أسوف" كانت وظيفته الرئيسية هي حماية الودان، تبعثها وظائف ثانوية، مثل: دلالة السائحين، ورعاية الأم، وغيرها.
- 3- أدى الوصف الجسماني (شاملاً الملابس) إلى تحديد شكل للشخصية، وبناء سقف من التصورات بين هيئتها، وأفعالها.
- 4- أوجدت أوجه التشابه بين الشخصيتين تصوراً عاماً لشخصيات قبائل الطوارق، وذلك بناء على اختلاف المنظورين الذين قامت عليهما الشخصيتان في الروايتين، مع ذلك كان الاتفاق على أمور أساسية.
- 5- دلّ رسم الشخصية الطارقية من المنظور الغربي على إعجاب وانبهار، مبنياً على معايشة واقعية، بينما قدّمها المنظور الشرقي بوصفها كائناً فانتازياً، مبنياً على أسس أسطورية.
- 6- بناء على الدوال القائمة في الروايتين (أي الأسماء والصفات)، نتجت شخصيتان سرديتان، حُدّدتا بالمعلومات الصريحة التي طرحها العمل الروائي، والاستنتاجات الشخصية، وكذلك من خلال علاقاتها بالمكان وبالعالم، فكانت الأحكام التي بُنيت على هذه المحددات، والتي خلصت إليها الدراسة.

(1) الطرق الأخرى هي البصرية، والعضلية، والصرفية. ينظر (هامون، 2013، ص63-64).

المراجع

- 1- الأنصاري، عمر، (2006)، الرجال الزرق، دار الساقى، لبنان.
- 2- بريك، الضاوية، (2021 فبراير)، أسطورة الفضاء الصحراوي في روايات إبراهيم الكوني، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، 68.
- 3- بلعباس، دحماني حليلة، (2017 مارس)، الفضاء المتخيل في كتابات إبراهيم الكوني، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، 5، 1.
- 4- بنكراد، سعيد، (2001)، السيمائيات السردية: مدخل نظري، د.ط، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.
- 5- الخليل، سمير، (د.ت)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 6- طحان، ريمون، (1972) الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبناني، لبنان.
- 7- الفوزان، الريم، (2015)، سيمائية الشخصية في الرواية السعودية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية.
- 8- فيكيروا، ألبرتو باتكث، (2004)، طوارق، ترجمة: عبدو زغبور، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.
- 9- قشاط، محمد سعيد، (1994)، الطوارق: عرب الصحراء الكبرى، ط2، دار الرواد، ليبيا.
- 10- كاظم، نادر، (2004)، تمثيلات الآخر: صورة السرد في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.
- 11- الكوني، إبراهيم، (1992)، نزيف الحجر، ط3، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان.
- 12- هامون، فيليب، (2013)، سيمولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.